



جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لشركة الوابل الصيب

للإنتاج والتوزيع والنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/١٧١٩٩

الترقيم الدولي I.S.B.N.

٩٧٧-٦٢١٤-٠٠-٢

الوابل الصيب

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثاً..... أمانة في أعناقنا

٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٥٠٨٧٣٨٣ - ٢٠٢ - ٢٥٠٧٦١٤٥ - ٢٠٢ +

E-Mail: Info@Alwabel.com

www.alwabel.com

www.alimamalallama.com

الكامن

في الحضارة الإسلامية

لفضيحة الإمام العلامة

نور الدين

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

الوابل الصيب

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

اللهم اشرح صدورنا للإسلام، وافتح علينا فتوح العارفين بك، واسلك بنا الطريق إليك، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وحبب لنا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره لنا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، ومن المتقين، ومع الصادقين.

في هذه المحاضرة المباركة، نتكلم عن الحضارة الإسلامية، لا بأن نسرد مظاهرها - وهذا يصلح لأن يكون مقدمة لهذه المحاضرة، أو لهذا اللقاء -، ولكننا نريد - من بعد معرفتنا بمظاهرها - أن نرى الكامن وراءها.

نريد أن نرى تلك العلامات، وتلك العناصر، التي أدت بنا إلى أن نصف الإسلام بأنه حضارة قد شاعت في الأرض وذاعت، وعلمت البشرية، من طنجة إلى جاكرتا، ومن غانا إلى فرغانة.

ما الكامن وراء هذه المظاهر وهذه العناصر؟ وعلام تدل؟ ما الذي كان يقوم في قلب ذلك المسلم الذي قام بهذه الحضارة؟ ومن هنا أتى العنوان: (الكامن في الحضارة الإسلامية).

فالحضارة الإسلامية مركبة، قد ننظر فيها في: التاريخ، أو في: الفنون،

أو في: الآداب، أو في: العلوم، أو في: الحياة، أو في: غير ذلك من المجالات، فنرى أنها تمثل حضارة.

ولو أننا تأملنا في التاريخ لوجدناها أمة فريدة من نوعها، دخلت البلاد، واثالت في الأرض يمينا وشمالا، حتى وصلت إلى: الأندلس، وإلى الصين، وإلى الهند، لكنها لم تقع في جريمة الاستعمار.

وجريمة الاستعمار تتمثل في: احتلال البلاد، ثم أخذ مواردها إلى البلاد الأصلية، لتبني بها بلادها، وتترك هذه البلاد المحتلة فقيرة، مثلما فعل بنا الإنجليز، والفرنسيون، والهولنديون، والبرتغال، والأسبان، ذهبوا إلى الدنيا، وفتشوا عن ثرواتها، وأخذوها، وحملوها إلى بلادهم، وبنوا المدن الفوقية والتحتية، وعاشوا في رفاهية، وتركوا تلك البلاد في غاية الفقر، والتفكك، والمجاعة، في آسيا، وفي إفريقيا، وفي كل العالم.

لم يفعل المسلمون ذلك، وظل الحجاز أفقر بلاد الله على وجه البسيطة، حتى تفجر البترول في هذه البلاد.

لم يخرج المسلمون ليأخذوا كنوز مصر والشام، ويحملوها إلى الحجاز من أجل أن يصبح العرب أغنياء العالم، والعالم فقراء.. أبدا.

التاريخ يبين لنا أننا لم نبدأ شعوبا، فمازالت الهندوكية في الهند إلى الآن، بعد سيطرة المسلمين عليها إلى سنة ١٩٣٦م، وآخر سلطان مسلم هو: (السلطان محمود) في: (حيدر آباد)، كان موجوداً، وانتهى ملكه سنة ١٩٣٦م، أي منذ سبعين سنة فقط، كان المسلمون يسيطرون على

الهند إلى ذلك الوقت، وبالرغم من ذلك فإن الهنادكة الذين يقدسون البقر مازالوا يعيشون إلى يومنا هذا، بل هم الأغلبية في تلك البلاد.

ومازال أهل الأديان طراً من مجوس، ومن مسيحيين، ومن يهود، ومن غيرهم يعيشون في أوساط بلادنا إلى يومنا هذا.

لم يقدم المسلمون أبداً على إبادة سكان هذه البلاد إبادة جماعية، كما حصل في الهنود الحمر، ولا كما حصل في أستراليا، ولا كما حصل في تسمانيا، وآخر امرأة من السكان الأصليين ماتت في تسمانيا سنة ١٨٣٠م، ولم يعطوهم البطاطين التي فيها ميكروب: (الجذري) حتى يموت من مات كما في قصة الجذور.

لم يتصور المسلمون أبداً أن يستعبدوا الناس، بل ليست هناك أمة صيرت عبيدها حكامها سوى المسلمين، والمسلمون فقط، وفي تاريخهم فترة تسمى بفترة: (المماليك)، تولى فيها العبد الحكم، لم يُعذب مثل ما عذب صاحب: (الجذور)، والجذور رواية أمريكية، تشرح كيف استعبدوا الزوج في أمريكا بأشنع الصور، حتى صارت التفرقة العنصرية سبة في تاريخ هؤلاء الناس، لم توجد عندنا هذه السبة، بل إننا لم نكرم العبيد ونحسن إليهم فقط... لا... لأنهم كانت لديهم كفاءات، من تعلم اللغات، ومن القدرة على القتال، ومن إدارة الشؤون، فعيناهم حكاماً لنا، وهذا أمر لا يصدق، أن يصل الحال بالحضارة إلى هذا المستوى، لو تأملنا لما وجدنا أمة في الأرض فعلت ذلك.

هذا التاريخ الذي نرى فيه أكثر من تسعين امرأة وصلت إلى الشأن

العام إن صح التعبير، (شجرة الدر) تولت الحكم، (ثمن) تولت القضاء، بل تولت القضاء أكثر من تسعين امرأة في تاريخ المسلمين، ورغم أن الأمر منفتح في فرنسا إلا أنه لم يتول شأنها إلى الآن امرأة واحدة، ورغم أن الأمر في أمريكا منفتح، والدستور يُجيز، إلا أنه لم يتول الحكم فيها -وإلى الآن- لا امرأة، ولا أسود، وهكذا، بينما كافور الإخشيدي تولى الحكم هنا في مصر، وترى الرعية يتفاعلون معه، منهم من يمدحه، ومنهم من يعارضه كما هو الشأن في كل الأمم المتحضرة، فترى المتنبى مثلاً يقول:

لَا تَشْرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ * إِنَّ الْعَبْدَ لَأَنْجَاسٌ مَّا كَيْدُ

أُتَدْرُونَ من يقصد؟ إنه يسب رأس الدولة، الذي هو (كافور)، وقد كان عبداً أسود ولكنه تولى، فليست هناك تفرقة عنصرية في ديننا، ليست هناك تفرقة عنصرية لأننا نرى أن الأسود كان نبياً، فلقمان الحكيم الذي أوتي الحكمة، وعظم الله شأنه في القرآن، كان أسود، ونحن نؤمن بأن السواد والبياض إنما ذلك أمر الله، وما شأنك أنت أيها العبد بالسواد والبياض؟؟ لم يقع هذا في تاريخنا ثم تبنا عنه، أو اعتذرنا، أو رجعنا أو كذا إلى آخره، تاريخ نظيف يمثل حضارة نظيفة.

رأينا الفنون والآداب، رأينا إبداعات، وإذا ما توغلنا في الحضارة الفرعونية، وتوغلنا في الحضارة الرومانية، واليونانية، والإغريقية وجدنا لها نمطا، ولكن الحضارة الإسلامية لها نمط آخر في الفنون، تمثل ذلك النمط في استعمال الأشكال الهندسية، تمثل في تكرار الوحدات بصورة

مطلقة، تمثل في استعمال محاكاة الخلق، كرسم الشمس، وكرسم القمر، ورسم السحاب، ورسم النباتات، والفاكهة، والشمار، والبحار، والأشجار، تمثل في استعمال الخط العربي كنوع من أنواع الزخرفة الراقية، التي تتسق مع الخلق الإلهي، لأن الخطاط الكبير: (ابن مقلة) أوحى الله إليه وألهمه تسديس الخط، كما أوحى إلى النحل بتسديس بيوتها كما يقول أبو حيان التوحيدي.

قال ابن مقلة /: «إن كلام الله قد نزل على نسبة إلهية فاضلة»، وهي التي نسميها الآن: (النسبة الطبيعية) وهي: (٧/٢٢) الخاصة بالدائرة، قال: «فلابد أن يكتب كلامه بخط فيه نسبة إلهية فاضلة»، ففكر حتى اكتشف أن الألف التي تمثل قطر الدائرة المرسوم بداخلها المسدس الدائري يمكن أن تصير ميزاناً للخط، فجعلها ميزاناً للخط، وجعل النقطة هي المحصورة بين الوتر والقوس، وعلى ذلك فطول ذلك القطر: ثماني نقاط، فالألف طولها: ثماني نقاط، وعلى ذلك فقس، فتكتب الحاء: نقطة هنا، ونقطة هنا، وتكتب التاء، وتكتب الباء، وتكتب النون، وتكتب كل الحروف منسوبة إلى الألف، على أساس أنها ثماني نقاط، وإذا اشترت مشقاً -وهو كراسة الخط- تجد فيها النقاط المذكورة، وقد لا يدري كثير منا ما سر هذه النقاط!! هذه نقاط منسوبة إلى الألف، التي هي ثماني نقاط باعتبار أنها: قطر دائرة فيها مسدس بالداخل، لماذا تفعل هذا يا ابن مقلة!! حتى يكتب القرآن بخط بديع متفرد، ليس هناك خط مثله في العالم أبداً، وهو أن بين الحروف نسب، هذه النسب هي نسب إلهية

فاضلة، فكما أنزل الله القرآن على نسبة إلهية فاضلة، محيرة للعقول، بحيث ترى جرس القرآن فتستمتع به، وتعلم أنه قرآن، يحفظه الصغير ويحفظه الكبير، كمعجزة من عند رب العالمين، فإذا بك تكتبه أيضاً بهذه النسبة الفاضلة، التي تخرج بعدها منها باتساق وجمال.

فنون.. وإبداع.. لكنه إبداع ملتزم، لكنه إبداع فيه نوع من أنواع العبادة والاستنارة، وتحويل المعلومات، وربطها برب العالمين، الذي خلق فسوًى، وقدر فهدى.

هذه لمحة من العلوم التي أنشأناها، ولو تكلمنا في فنون العمارة، وفنون الخط، وفنون التشييبات، التي فعلها التار بعد دخولهم الإسلام، لما انتهت المسائل، ولتحولت هذه المحاضرة إلى ذكر شيء من مفردات الحضارة الإسلامية، وهذا ما لا نريده، بل نريد أن نبه إلى أن هناك شيئاً يسمى بالحضارة الإسلامية، وأن تلك الحضارة تميزت برعاية الحياة، وبرعاية العلوم؛ فتولدت علوم لم يكن لها مثيل من قبل: علم أصول الفقه، وعلم الرواية والتوثيق، سواء في القراءات أو في الحديث، وعلوم جديدة لم تعرف البشرية أبداً لها مثيلاً.

ثم جاء العصريون بعد ذلك، وحاولوا في: (الهيرمينوطيقا) أن يقلدوا علم أصول الفقه، و(الهيرمينوطيقا): علم نشأ من أجل فهم الكتب أو النصوص، بدأ أولاً في نشأة دينية بفهم الكتب المقدسة، ثم بعد ذلك تحولت إلى فهم النص الأدبي مع (شلاي ماخر) في ألمانيا سنة ١٨٣٤م، وأصبحت (الهيرمونوطيقا) نوعاً من علوم تفسير النص، هذا التفسير للنص

يدرس الآن في المدرسة الألمانية، وفي تركيا، وكذا إلى آخره، وكلما نحاول أن نستفيد منه، فاتحين آذاننا للعالمين فيما وصلوا إليه، نرى أن الأصوليين من المسلمين قد وصلوا إلى ما هو أعمق من ذلك بآلاف المرات!! في صورة مبهرة!! تجعلنا إذا أردنا الإنصاف لا نملك إلا أن نقول: (سبحان الله)، تراثنا الذي بين أيدينا فيه من الكنوز ما فاق هذا وغطاه، ووصل إلى أبعد مدى بعده.

في هذه (الهيرمينوطيقا) يتكلمون عن: النص، والمفسر، والمخاطب، ويتكلم عندنا الأصوليون على أن: (الاستعمال من صفة المتكلم، والحمل من صفة السامع، والوضع قبلهما)، فنرى أن البون شاسع بين هذا وذاك، هذا يتكلم عن ظاهر الأمر، وهذا وصل إلى فلسفة اللغة، بحيث إنه جعل اللغة الموروثة جزءاً لا يتجزأ من الخطاب استعمالاً وحملًا، وتكلم بعد ذلك في دقائقها: حقيقة، ومجازاً، واشتراكاً، وترادفاً، وسباقاً، ولحاقاً، ودلالات للألفاظ: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام، ودلالة الفرض.. ما هذا؟!، هذا شيء بديع، يقف أمامه الإنسان وهو يقارن بين المدرستين، ثم هناك شيء آخر، شيء أعمق بكثير، هل اطلع هؤلاء على علومنا؟ لا نريد أن ندخل في هذا، لكن معنا كنوز نستطيع أن نصنع منها أشياء.

الحياة التي رأينا فيها حضارة تعتنى بالأكوان، وترأف بالحيوان حتى إنها تنشئ مساقى للكلاب، نعم ذلك موجود عندنا في الحضارة الإسلامية، لم تقتصر المسألة على رعاية الإنسان واحترامه، بل وصل إلى

رعاية الكلاب، وجعل الشرع الشريف من أسس حضارته: «أَنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ؛ حَبَسَتْهَا»^(١)، و«أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَزْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢)، ففهم المسلمون من هذا فهماً، وعرفوا - وعرفنا معهم - المعنى الكامن وراء ما كان بجوار بيت القاضي - وراء سيدنا الحسين - عندما نذهب لنجد مساقى للكلاب والحيوانات!!.

ما الكامن في أن علياً الخواص عليه السلام وقد كان رجلاً عامياً، لكنه كان من الصالحين، وكان يحفظ القرآن، كان / يذهب بالليل ويعبد الله بأن ينظف مساقى الكلاب، للكلاب الهائمة في الشوارع!! ما الكامن وراء هذا؟! كان يذهب إلى دورات المياه لينظفها في المساجد، ويخرج لينظف مساقى الكلاب، هذا وهو من كبار أولياء الله الصالحين؟.

مثل هذا الإنسان كيف كان يفكر؟! وما الذي كونه مثل هذا التكوين الإنساني الراقي المرهف، المقعم بالإنسانية والشعور الرباني؟!، ما الكامن وراء هذا التصرف؟! هذا هو سؤالنا في هذه المحاضرة: (ما الكامن في الحضارة الإسلامية)!!

- (١) رواه البخاري في صحيحه: (١٢٠٥/٣) كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب، ومسلم في صحيحه: (٢١١٠/٤) كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، وابن حبان في صحيحه: (٤٣٨/١٢)، وابن ماجه في سننه: (١٤٢١/٢).
- (٢) رواه البخاري في صحيحه: (٨٣٣/٢) كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ومسلم في صحيحه: (١٧٦١/٤) باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، وابن حبان في صحيحه: (٣٠١/٢)، وأبو داود في السنن: (٢٤/٣).

الحضارة الإسلامية موجودة بلا شك، موجودة في صورة التاريخ، والفنون، والآداب، والعلوم، والحياة، وغير ذلك من المجالات، ولكن... ما المبادئ والمحاور الكامنة وراء هذا كله؟

أرى أن وراء هذا كله إنسان!! إنسان آمن بالرحمن، إنسان آمن بالإنسان، إنسان آمن برعاية الأكوان، وأن هذا هو الكامن وراء الحضارة الإسلامية: الإيمان بالرحمن، الإيمان بالإنسان، الإيمان برعاية الأكوان.

وهيا بنا ننظر إلى هذه الثلاثة فقط، لأن هناك عناصر كثيرة لا يتسع الوقت للاستفاضة فيها، لكن هذه الثلاثة تبين لنا المراد من عنوان هذه المحاضرة، لاستطلاع الكامن من وراء هذه الحضارة التي رأيناها وسمعناها، وعشنا في بعضها، وغاب عنا الكثير منها.

آمنت بالرحمن فماذا حدث؟ آمنت بأن هناك إلها واحدا، إذن فالوحدانية كانت مستقرة في عقيدة هذا الإنسان، الذي أبدع هذه الحضارة، هذه الوحدانية اجتمعت أيضاً مع المفارقة، فالرب رب، والعبد عبد، وهناك فارق، بين المخلوق والخالق، فهذه المفارقة منعت أن يعتقد الإنسان قداسة الأكوان، ومنعت أن يعتقد الإنسان الحلول والاتحاد، وأن يعتقد الإنسان أنه ليس هناك إله آخر، يشارك الله تعالى ملكه في هذا الكون، وما وراء هذا الكون، والمفارقة هنا معناها أنه ليس حالا في الكون، ولا في شيء منه، ولذلك: فليس هناك جزء إلهي في هذا العالم؛ لأن الحق سبحانه منزّه، ولا يطرأ على ذاته المقدسة تجزؤ.

أثرت كثيراً هذه العقيدة في التعامل مع الكون، الكون الذي آمن ذلك

الإنسان برعايته، وبأنه هو الذي سيرعى هذا الكون، سنرى الآن ما موقفه من الأكوان؟ لم يكن موقف عبادة، ولم يكن موقف قداسة تمنعه من أن يتعامل مع الكون بالعمارة.

آمن ذلك الإنسان بالرحمن، فأمن بالوحدانية، وآمن بأنه -سبحانه- إله مفارق، والمفارق هنا مبحث فيه تفصيل في علم الكلام، أنه: لا متصل ولا منفصل، ولا خارج الكون ولا داخل الكون، لأنه ليس كمثله شيء، ولأنه ليس كالأجسام، ولأنه سبحانه منزّه عن أوصاف المخلوقات، ولأنه سبحانه وتعالى رب ونحن عباده، والله تعالى كان ولم يكن شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

تلك المعاني هي خلاصة العقائد التي ندرسها في الأزهر، وتصور فيها ما نعبد، نعبد إلها عظيماً، منزهاً عن حلوله بالكون، حتى لا يكون جزء من الكون مقدساً قداسة إلهية تمنعنا من التعامل معه.

هذا هو عقل المسلم الذي سعى في الأرض وعمرها، وأنشأ، وبنى، وفعل، وترك وكذا إلى آخره، هذا هو الكامن في الحضارة الإسلامية.

آمن الإنسان عندنا أيضاً بالتجلي الإلهي، وبأن الله -سبحانه وتعالى- وراء كل شيء: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿لَا يُسْقَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْقَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ * تَذُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

الإنسان عندنا يستحضر الله -تعالى- في كل شيء، فماذا يفعل التجلي الإلهي؟ يجعل الإنسان مستحضراً لله في كل شيء، في كل سكونة، في كل حركة، وعندما تقرأ كتاب (الحكم) للإمام ابن عطاء الله السكندري / تجدها كلها مبنية على هذا، على أنه لا حول ولا قوة بي، ولا لي، وإنما الحول والقوة لله، وبالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأن الأمر كله بيد الله، ومع ذلك فإن الاعتماد على الأسباب شرك، وترك الأسباب جهل، ولما أن أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى أحد (خالف بين درعيه)^(١) أخذاً بالأسباب، فأخذ ﷺ بالأسباب ليعلمنا المنهج الأمثل في التعامل مع كون الله تعالى، حتى علمنا أن حقيقة التوكل الأخذ بالأسباب، فقال لنا ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرْوَحُ بِطَانًا»^(٢)، قال العلماء: فهي تغدو وتروح أخذاً بالأسباب، لم تمكث في وكناتها، بل أخذت بالسبب، فراحت ورجعت، فرزقها المولى -سبحانه-، فقوله: (تَعْدُو وَتَرْوَحُ) يشير إلى وجود حركة، فهي إذن لا تترك الأسباب، وكأن الحق سبحانه يربي الأكوان كلها على

(١) رواه أبو داود في سننه: (٣١/٣)، والنسائي في السنن الكبرى: (١٧١/٥)، وابن ماجه في سننه: (٩٣٨/٢) كلهم من حديث السائب بن يزيد، والحاكم في المستدرک: (٢٨/٣) من حديث الزبير.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه: (٥٠٩/٢) باب الورع والتوكل، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قطع القلب عن الخلائق، والترمذي في سننه: (٥٧٣/٤) كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في سننه: (١٣٩٤/٢) كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، وغيرهم.

التأدب بأدب الله في الأخذ بأسبابه، التي أوجدها وخلقها في كونه، وعلّمنا أيضاً: أن المؤمن رغم أخذه بالأسباب، إلا أنه لا يعتمد عليها، فالفلاح يلقي الحب، ثم يدعو ويقول: (يا رب)، هذا هو المسلم الذي أقام حضارة، يؤمن فيها بالتجلي الإلهي.

والتجلي الإلهي مبني أيضاً على أن الحق سبحانه له أسماء، وأسماء الله الحسنى مائة وثلاثة وخمسون اسماً في القرآن الكريم، ومائة وأربعة وستون اسماً في السنة المطهرة، فمع حذف المكرر منها تكون أسماءه -سبحانه- مائتين وعشرين اسماً، وهي تمثل: (منظومة القيم) التي عاشها المؤمنون، بعضها للجمال، وبعضها للجلال، وبعضها للكمال، فالجمال مثل: (الرحمن، الرحيم، العفو، الغفور، الرؤوف)، والجلال مثل: (المنتقم، الجبار، العظيم، شديد المحال، جل جلال الله)، والكمال: (الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الضار، النافع، المعز، المذل، السميع، البصير)، وهنا أيضاً ما يسمونه: (الأسماء المزدوجة): ف (الأول الآخر) معا كلاهما اسم، و (الضار النافع) اسم، و (الظاهر الباطن) اسم؛ لأنه بهما الكمال المطلق لله رب العالمين.

هذه المنظومة التي توصلك إلى: التجلي، والتحلي، والتخلي، الأول: أن تخلي قلبك من القبيح، ثم تحليه بالصحيح، ثم يحدث التجلي، فيتجلي الله بأنواره وأسراره على قلبك، فتخرج من دائرة الحيرة إلى دائرة الرضا، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

آمنوا بالمطلق، وأنه هناك عدل، بينما هناك أناس آخرون لم يؤمنوا

بالمطلق، وقالوا: هل هناك عدل؟ فنفوا العدل، ونفوا المطلق، ولم يعترفوا بهما، فجعلوا العدل نسبياً، فما يفعلونه في جنوب أفريقيا مغاير لما يفعلونه في فلسطين، سبحان الله! أليست هي هي؟ هنا أناس متحكمون وهناك أناس متحكمون!! أبداً هذا عندهم غير هذا، إذن كأنهم يقومون بخطيئة الوزن بميزانين، والكيل بمكيالين، لكن أولئك -أعني المسلمين- لم يفعلوا هذا، فالحق عندهم حق، والباطل باطل، والعدل عدل، والظلم ظلم، والإنسان الذي آمن بالمطلق مغاير للإنسان الذي نفى المطلق من الحياة.

المسلمون إذن آمنوا بالتكليف، وبأن الله سبحانه وتعالى أَمَرَ وَنَهَى، فهناك تكليف في هذا الكون، وربنا سبحانه لم يخلقنا عبثاً، لم يتركنا في هذه الحياة الدنيا إلا وقد حدد لنا المطلوب منا: بأن أمرنا بمنهج مكون من: (افعل، ولا تفعل) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، فهناك أوامر وزواجر، وهناك: واجب، ومندوب، وهناك: مباح، وهناك: حرام، ومكروه، فأصبحت الأحكام خمسة، والإنسان دائر بينها، بين الإقدام والإحجام، وهو في حال عمله يقول: أنا أمتثل حتى لا يغضب ربي عليّ، إذن التكليف له أثر في سلوك المؤمن.

هذا الإنسان لم يرسم رسومات، لماذا؟! لأن الشرع قد أمرنا بأن لا ترسموا، وأنه: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَأِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»^(١)، وأنا

(١) رواه البخاري في صحيحه: (١١٧٩/٣) كتاب بدء الخلق، باب (إذا قال أحدكم) عن أبي طلحة، ورواه مسلم في صحيحه: (١٦٦٤/٣) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وغيرهما.

-كمسلم- أفهم الصورة على أنها التمثال، فلا داعي للتماثيل، الحضارة الرومانية مليئة بالتماثيل، والحضارة الفرعونية مليئة بالتماثيل، لكن المسلم الذي صنع هذه الحضارة قال: لا داعي للتماثيل، قال ذلك لكنه لم يسكت، ولم يتوقف عن معاشة الجمال، والفن، والإبداع، وعندما تبنى هذا المنهج أثر في اختياره لنمط جديد بديع، مامعنى بديع؟ معناها: أنه جعله شيئاً جديداً، فيه إبداع، وليس ابتداعاً، ذلك الذي هو الفن الإسلامي، والزخرفة، والخطوط والتعشيبات.... إلى آخره، إذن هو قد عمل، ووصل إلى غاية الإبداع، الإبداع الملتزم بالتكليف، وهناك من العلماء من قالوا: (الرأس في الصورة المجسمة إذا ذهبت فلا صورة) استناداً للأثر: «الصُورَةُ الرَّأْسُ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ فَلَيْسَ بِصُورَةٍ»^(١)، ففكر المسلم وقال: لن أصنع الصور على الإطلاق، بل سأفكر في جانب آخر، ففكر، وأبدع، بناء على إيمانه باليوم الآخر، وبالجنة والنار، والحساب، والعقاب، والثواب.

آمن باليوم الآخر ولذلك راعى الله واتقاه، لم يؤمن بالتناسخ والتفاسخ والتراسخ كما آمنت به حضارات أخرى، يعتقدون بأنه: ليس هناك يوم آخر، وأن الروح ستخرج مني وستدخل في إنسان آخر غيري، فإن كنت خيراً فستدخل في واحد غني، وإن كنت شريراً فستدخل في

(١) نعم قال بذلك أبو هريرة وابن عباس وعكرمة، فرواه البيهقي في سننه ٢٧٠/٧ باب الرخصة فيما يوطأ من الصور أو يقطع رؤوسها، ورواه الإسماعيلي في معجم شيوخه: ٦٦٢/٢ - كلاهما عن ابن عباس، ورواه الطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٨٧/٤ عن أبي هريرة، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف: (٢٠٨/٥) عن عكرمة.

ثعلب، أو ذئب، أو ثعبان، أو تدخل في نبات، وهذا ما يسمونه: التراسخ.

فهناك عندهم تناسخ، وهناك تفاسخ، وهناك تراسخ، التراسخ في النبات، والتفاسخ في الجماد، والتناسخ في الحياة المتحركة بالإرادة أي: الإنسان، أو الحيوان، هذا معنى: التناسخ، والتفاسخ، والتراسخ، أما أمة الإسلام فإنها أمة آمنت بالرحمن، مما جعل الإنسان إنسان حضارة.

أمة آمنت بالإنسان، وبإلهها من كلمة جلييلة، مليئة بالمعاني النبيلة: (آمنت بالإنسان)، وهذه الكلمة النبيلة: (آمنت بالإنسان) عنوان لكتاب كتبه الأستاذ الدكتور/محمد غلاب /، وكأنه شَعَرَ أن هذا البند وراء الإنسان، ووراء الحضارة الإسلامية، كأنه هو الكامن وراء الحضارة الإسلامية.

فماذا فعل المسلمون بناء على ذلك؟! قالوا: (الساجد قبل المساجد)، انظر إلى جلال الكلام وروعته، وانظر إلى الثقافة السائدة، المبنية على القيم، أن ما يحتاجه البيت يصرف إليه دون المسجد، فهذا إنسان، لم ير أن نعطي للمساجد على حساب خراب البيوت، فالصلاة يسر، يسرها الله وجعلها سهلة، وقال المصطفى ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»^(١) فلك أن تصلي في أي مكان، لكن أقم بيتك أولاً،

(١) رواه البخاري في صحيحه: (١٦٨/١) أبواب المساجد، ٥٦ - باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» من مسند جابر رضي الله عنه، وابن حبان في صحيحه: (٣٠٨/١٤)، وابن خزيمة في صحيحه: (١٣٢/١) من مسند حذيفة، والحاكم في المستدرک: (٤٦٠/٢) من مسند أبي ذر، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

فلا ينبغي أن يكون البيت محتاجاً ثم تأخذ منه وتصب في بناء آخر، لأن الإنسان قبل البنيان، هل ترى جلال الكلام؟ هذا الكلام قد أثر في عقلية المسلم، تدخل معابد غير المسلمين فتجدها في غاية الفخامة، وتجدها مذهبة ومفضضة، أنفقوا عليها الملايين، في حين أنك تدخل أعظم مساجد المسلمين فتجدها محدودة، لماذا؟! لأن: (الإنسان قبل البنيان)، لأن: (الساجد قبل المساجد)، فهو أعظم ما هنالك من بنيان، وبالمقارنة ترى أحد الفراعنة بنى له مقبرة هرمًا، فمكث سبعة آلاف سنة، والحمد لله أنه بناء؛ لأنه ظل شاهداً على الأمم من قبلنا، وعلى تقلباتها وأحوالها، لكن بناءً يظل سبعة آلاف سنة!! هذا بناء مشيد، نعم بناء مشيد، فأين المسجد الذي يماثله؟ لا يوجد، لماذا؟! لأن: (الإنسان قبل البنيان) ولأن: (الساجد قبل المساجد).

المسلم أيضاً آمن بعناصر الجدية، مجموعة من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ تعلمك أن تكون جاداً في حياتك، يقول رسول الله ﷺ: «لَا تَزُولُ - وفي رواية: (لا تزولا) - قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ»^(١) أي عن الوقت، وما أدراك ما قيمة الوقت؟؟!!

بهذه السياقة وإنما خرجا ألفاظاً من الحديث متفرقة، والترمذي في السنن: (١٣١/٢) من مسند أبي سعيد، قال الترمذي: (قال أبو عيسى: وفي الباب عن: علي، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وجابر، وابن عباس، وحذيفة، وأنس، وأبي أمامة، وأبي ذر)، وذكره المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتاب: (نظم المتناثر من الحديث المتواتر). (١) رواه الترمذي في سننه: (٦١٢/٤) عن أبي بَزْرَةَ السَّلَمِيِّ وقال: حسن صحيح، وكذلك الدارمي في السنن: (١٤٤/١)، والطبراني في المعجم الصغير: (٣٤٨/٢).

الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، يقول الإمام الشافعي: «صاحبت الصوفية فاستفدت منهم: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)».

وهذا الإمام أبو الوفاء ابن عقيل ألف كتاباً كبيراً أسماه بكتاب: (الفنون) في ثمانمائة مجلد، لو طبع الآن لصار يغطي جدران هذه القاعة بأكملها من أرضها لسماؤها، أبو الوفاء ابن عقيل كان يسف الأرز ولا يأكل الخبز، فسئل في ذلك: هل الخبز فيه شيء؟! فقال: لا، ولكن أكل الطعام يأخذ مني وقتاً أكبر من الوقت اللازم لسف الأرز، وأنا لا أحب أن أضيع وقتي!! وكان عندما يتعب يبري الأقلام، ويجهز الورق، وكان عندما يدخل دورة المياه يحضر اثنين من العبيد يقومان بالقراءة بصوت مرتفع؛ حتى لا يضيع الوقت؛ لأنه ليس لديه وقت، فما هذا؟؟ ما هذا الإنسان؟ هذا إنسان جاد في الحياة، ألف كتاب: (الفنون) فوصل إلينا منه مجلدان، طبعاً في بيروت سنة ١٩٦٤م، وقد جمع فيه علوم الإسلام، لكن، لأنه كتاب كبير لم تتحمله الهمة كما يقولون.

والإمام أبو الفرج ابن الجوزي ألف كتاباً أسماه: (لفتة الكبد، في نصيحة الولد) ينصح فيه ابنه، فمما قال له: (يا بني إن أكثر الناس لا يعرفون حقيقة الدنيا، وأنها إلى زوال، فترى الناس يأتون لزيارتي ويتكلمون في غلاء الأسعار وفي الحكام -وهنا ملحوظ هام، فمن وقتها وهم يتكلمون في الحكام حتى اليوم، ويتكلمون في غلاء الأسعار، فانظر إلى السنن الاجتماعية- والمقصود أن ابن الجوزي يقول لولده: (فاشتغل بتجهيز الكتب ومعلقاتها حتى ينصرفوا) كأنه يقول لولده: أنا مشغول

عنهم وعن أحاديثهم بما هو أنفع في الدنيا والآخرة، وليس لدينا وقت نضيعه، وهكذا، فهذا إنسان يحافظ على الأوقات.

وبعد المحافظة على العلم، هناك العمل في روح الفريق، و«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(١)، و«إن الله يحب من أحكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»^(٢)، و«الدين النصيحة»^(٣)، كل هذه المبادئ سرت في عقلية المسلم وطبقتها، وحولها من أوامر ونواه، وموعظة ووصية إلى: حياة، وبرنامج معيش، يستطيع الإنسان فيه، وبه، ومن خلاله أن يوصف بأنه جاد في حياته.

ثم تأتي منظومة القيم المأخوذة من الأسماء الحسنى لكي ترقق طبعه وتمزجه بالربانية حتى لا يكون حاداً، فهناك بعض الناس جاد وحاد، أما هذا فهو جاد لكنه ليس بحاد، إنما صبور وهين، وباطنه طاهر، وظاهره راق.

(آمنت بالإنسان) كلمة كانت كامنة وراء الحضارة الإسلامية، فهذه الحضارة حضارة إنسانية، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إنها أمة آمنت

- (١) رواه البخاري في صحيحه: (٢٣٧٣/٥) كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، ومسلم في صحيحه: (٥٤١/١) كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من حديث عائشة رضي الله عنها.
- (٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: (٢٧٥/١)، وأبو يعلى في مسنده: (٣٤٩/٧)، والبيهقي في الشعب: (٣٣٤/٤) عن عائشة رضي الله عنها.
- (٣) رواه مسلم في صحيحه: (٧٤/١) كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، وابن حبان في صحيحه: (٤٣٥/١٠) عن تميم الداري رضي الله عنه.

في مصادرها وتاريخها برعاية الأكوان، هذه الأكوان التي حولنا، أول عقيدة لنا فيها أنها مخلوقة، وأنها فانية، وأن لها ظاهراً وباطناً، وأنها تُسَبَّح، فأمن المسلمون بأن الكون يسبح:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

تخيل أن هذا الإنسان يؤمن أن هذا الخشب، وهذه النافذة، وهذا الحائط كلها كائنات تسبح لله، كيف سيكون تعامله معها؟ بدون شك أنه سيتعامل معها بغير فساد ولا إفساد لبيئة ولا لغيرها.

آمنوا بأن هذا الكون يسجد، وكانوا إذا سجدوا سجدوا مع الكون لرب العالمين، إذن هو يشعر بأنه في تيار يسير في اتجاه رب العالمين، ولذلك أسموا منهاج التعبد والمعرفة بالحق سبحانه: (الطريق إلى الله)، وهو كلام له دلالة، فكأن الطريق ينتهي بنا إلى الله، وقد قال المصطفى ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١) أي: سلك منهاجاً يلتمس فيه علماً، فهو إذن منهج حياة.

وقد آمن المسلمون أيضاً بأن هذا الكون مسخر لنا، آمنوا بأن له ظاهراً وحقيقة، لذلك لم يتعارض الدين مع العلم أبداً، آمنوا بأننا لا بد لنا

(١) رواه مسلم في صحيحه: (٢٠٧٤/٤)، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، والترمذي في سننه: (٢٨/٥) كتاب العلم، باب: فضل طلب العلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من أن نقرأ الكونين: ولإمامين الجليلين ابن العربي، والفخر الرازي تسمية بديعة لذلك المعنى، قالوا: (كتاب الله المنظور، وكتاب الله المسطور)، فالكون كتاب الله المنظور، والقرآن كتاب الله المسطور، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

أي نقرأ الكون، ثم قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، فأعاد الأمر بالقراءة مرة أخرى، ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣، ٤]، يعني: الوحي، فهي كقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، والقلم إشارة إلى الوحي.

وفي الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١)؛ لأن للقلم دلالة وإشارة إلى الوحي، إذن سأقرأ قراءتين، والقراءتان من عند الله، الكون من عند الله خلقاً، والوحي من عند الله أمراً، لأن كلام الله ليس بمخلوق، وهذا الذي درسناه في الأزهر الشريف أن: (كلام الله ليس بمخلوق) وقد قال سبحانه في ذلك المعنى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق هو العالم المنظور، والأمر هو الوحي الشريف والكون المسطور، إذن ربنا - سبحانه تعالى - له هذا الكون، وله

(١) رواه أبو داود في سننه: (٢٢٥/٤)، والترمذي في السنن: (٤٥٧/٤)، والبخاري في مسنده: (١٣٧/٧) من حديث عباد بن الصامت رضي الله عنه.

هذا الوحي، وكلاهما صدر عن الله تعالى، فلا تناقض، فآل الأمر إلى أنهم كلما قرأوا في الكتاب المنظور وجدوه في الكتاب المسطور، وكلما قرأوا في المسطور وجدوا أنه لا يعارضه المنظور، فلم يحدث أصلاً إشكال بين العلم والدين، نعم حصل في نصوص أخرى، وفي حضارة أخرى، وفي ثقافات أخرى في الشرق والغرب، لكنه لم يحدث عند المسلمين، ولذلك: ادعائهم وجود عداء بين العلم وبين الدين في جانب المسلمين ليس عادلاً، وليس صحيحاً.

فهذه المبادئ الثلاثة - وكلها موجود في القرآن وفي السُّنة - مثال لما أريد أن أقول: (آمنت بالرحمن، وآمنت بالإنسان، وآمنت برعاية الأكوان) تلك المحاور التي جعلتني أتعامل مع هذا الكون بهذه الصفات.

فهذا هو الإنسان الحضاري، هذا هو الإنسان الذي سيعالج كل المشكلات بعد ذلك بهذه العقلية: أنه مخلوق، أنه محل للتجلي والتكليف والتشريف الإلهي، أنه مكلف، أنه يؤمن بالآخرة، أنه مؤمن بالإنسان، أنه يرفع الأكرام، أن هذا الكون يسبح معه، ويسجد معه، ومسخر له: فهو يأكل اللحم لكن بإذن الله، وتحت سلطان الله، ويذبح باسم الله، وليس إبادة لنوع البقر، ولا الجاموس، ولا الأنعام، إنما يفعلها حتى يتقوى، حتى يتمتع بمائدة الله التي جعلها له؛ لأن هذا الكون مائدة الله، هذه هي النظرة، وهذا هو الذي انبثق منه هذا التاريخ، وهذا الذي انبثقت منه هذه الحضارة بكل ما فيها من فنون، وآداب، وحياة.

هذه الحضارة نامت، فهل ماتت؟! هذا سؤال مهم، الحضارة التي

نتكلم عنها، نراها اليوم وليس بيدها شيء من القيادة والريادة، هي إذن نامت، فهل ماتت؟! الحضارة التي ماتت هي الحضارة الفرعونية مثلاً؛ فقد ذهبت لغتها، وذهبت عقائدها، وذهبت رؤيتها للحياة والكون، أما حضارتنا فإنها لا تزال حية، لغتها باقية نتكلم بها، ولا يزال محورها، وهو النص الشريف، القرآن الكريم الذي أذن الله أن يكون حبلاً بين رب العالمين والناس أجمعين إلى يوم الدين، مازال باقياً.

■ لم يمت المسلمون، بل ينتشرون ويزيدون، فأصبحوا - طبقاً لموسوعة: (جينز) للأرقام القياسية - ملياراً وثلث مليار، وأصبحوا أكثر الناس تبعاً لدين من الأديان، ومازال اسم النبي ﷺ يتردد في الأفق، في الأذان، خمس مرات في اليوم، (أشهد أن محمداً رسول الله) كلمة عالية لا تزال مرفوعة في أفق الدنيا تتردد وتعلو، ومازال اسم سيدنا: (محمد) ﷺ هو أعلى الأسماء نسبة، وأكثر اسم يتسمى به الناس في الأرض، ومن تسمى به في الأرض أكثر من سبعين مليوناً، فلو أضفت بقية أسمائه الشريفة: (أحمد)، و(مصطفى) وسائر أسمائه ﷺ فليس هناك مقارنة، ألم يقل له ربه سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:؛]، هذه هي الحقيقة، الحقيقة أن هناك نوماً وليس هناك موت، لم تمت الحضارة الإسلامية، بل ما زالت البشرية تحتاج إلينا، نعم ما زالوا في حاجة إلينا، ما زالوا في حاجة إلى أن نعلمهم أن أصول الحضارة والرقى الإنساني ثلاثة أمور: (الإيمان بالرحمن، والإيمان بالإنسان، والإيمان برعاية الأكوان).

حقوق الإنسان عندنا كنا سمينها المقاصد الشرعية الكبرى: (حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ كرامة الإنسان التي كنا نسميها بالعرض، وحفظ المال الذي هو الملك)، مازال العقلاء من البشر يحافظون عليها، وأهل الشهوات يدعونهم إلى الخروج عليها، وأما أولئك فقد كتبوها على الحجر وحرموها البشر، فإذا ذهبت إلى الأمم المتحدة تجد حقوق الإنسان لسنة ١٩٤٧م مكتوبة على الحجر وأين هي عند البشر؟! نسأل الله السلامة، ولكن ينبغي علينا أن نؤمن بأن الحضارة - وإن كانت قد نامت - إلا أنها لم تمت، فيمكننا أن نوقظها، وينبغي أن نوقظها لمصلحة البشرية جمعاء، حتى يتمتعوا بهذا البهاء، وبهذا الجمال، الذي عايشته البشرية في ظل هذه الحضارة، حضارة التعدد: الفكري، والسياسي، والديني، والعربي، عاشوا في سلام وأمان، وجاء الناس من كل صوب يحتمون بالمسلمين فحماهم المسلمون.

بعد مائة سنة من دخول الإسلام إلى مصر كان في مصر ١% من المسلمين و ٩٩ من غير المسلمين، وبعد مائتين وخمسين سنة أصبح عدد المسلمين ٢٥% من المسلمين و ٧٥% من غير المسلمين، بعد سبعمائة وخمسين سنة أصبح هؤلاء أكثر من تسعين أو خمسة وتسعين بالمائة، والآخر (غير المسلمين) ٥%، فأين هو السيف والإكراه؟! ليس هناك أي أثر تاريخي لهذه الدعاوي الباطلة الظالمة، التي نسبت إلينا ونحن منها براء، بل كان الإنسان عندنا إنسان حضارة، يعبد الله، ويعمر الكون، ويزكي النفس قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩٠، ١٠].

إذن فحضارتنا تشبه مرآة عليها شيء من الغبش، ونحن نريد إزالة الغبش عن المرآة حتى تعود مرة أخرى مصقولة لامعة سوية، لا نريد لها أن تكون مرآة محدبة تغير الواقع، تقف أمامها فترى نفسك نحيفا، ولا مرآة مقعرة تجعلك تبدو سمينا وأنت في الحقيقة نحيف، هذه المرايا تحكي غير الواقع، من انعكاس الضوء لتحديدها وتقديرها، نحن نريد المرآة المصقولة المستوية حيثما كانت.

■ التغبش قد يحدث في بعض جوانب حياتنا تحديدا، وفي بعضها تقعيرا، فظهر الحضارة الإسلامية - على خلاف الواقع - متناقضة مطموسة، وهذا هو معنى نومها، لكنها والحمد لله لم تكسر، بل هي موجودة في وجداننا، وفي ثقافتنا، وفي كل شيء نمارسه من مصادرنا ومن حياتنا، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين من غير حول منا ولا قوة. شكرا لكم.





قضايا الأمة:

السؤال الأول:

(الغرب يفرض علينا أجندته، ويتكلم هنا عن الحداثة وما بعد الحداثة، والعلمانية، وكذا إلى آخره فماذا نفعل؟؟)

❖ **الجواب:** نعم، نحن أصبحنا في قرية واحدة، ولا بد من أن ندافع عن أنفسنا، وعن خصوصيتنا، وعن أجندتنا، نحن نتكلم عن الخطاب.. وعن الهوية.. وعن البيئة.. وعن مشكلاتنا في التطوير السياسي.. وفي التطوير الاجتماعي.. وفي التنمية البشرية الشاملة، هذه أجندتنا نحن، كيف نقضي على البطالة؟ كيف نقضي على الأمية؟ لأنه لا يمكن أن يتواصل الناس إلا إذا كان الطرفان على قدر معين من الفهم والثقافة، فإذا كانت الأمية ضخمة في بعض الأحيان حتى إنهم يقدرونها في بعض الأحيان بثلاثين في المائة، وفي بعض الأحيان يقولون: ٥٠%، وفي بعض الأحيان: ٥٦%، أرقام تذكر، نحن لا نريد أن يكون فينا أمي واحد؛ لأنها

أمة: ﴿أَقْرَأْ﴾، فلا بد في أجندتنا من أن يكون لها الأولوية، القضاء على البطالة، القضاء على الأمية، التنمية البشرية، غلاء الأسعار، التطوير في اجتماعنا البشري، في كل المجالات: السياسية، والاقتصادية، والعلمية وهكذا، هذه أجندتنا وهذا همنا، فلا يسرقنا ويسرق أوقاتنا أحد من الناس، نعم نحن أصبحنا في قرية واحدة، ومن الممكن أن يسرقنا الناس فينبغي علينا أن نتنبه.

السؤال الثاني:

أين الحضارة الآن؟

❖ **الجواب:** نامت بأيدي أبنائها، فيجب علينا أن نوقظها، فكيف نوقظها؟ بالتربية، فقط ربوا أولادكم، ربوهم على حب رسول الله ﷺ، ربوهم على حب القرآن، ربوهم على حب الإنسان، ربوهم على الإيمان بالرحمن، ربوهم على عمارة الأكوان.. هذه هي الحكاية، رب.. فليس هناك سوى التربية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] لأنه هو الذي بيده الهداية والتوفيق بشأن التربية.

السؤال الثالث:

إذا كانت الحضارة الإسلامية تدعو إلى عمارة الأرض، فما رأي سيادتكم فيما يجري في العراق وفلسطين؟

❖ **الجواب:** هل هم الذين دمّروا المسلمين؟! وما رأيك أنت؟ ألم نقل: إن كل هذا البلاء الذي نعيش فيه مرجعه عدم تربية الإنسان، الكل أصبح أنانياً، وأصبح يحب نفسه فقط، ويريد مجده، وخصوصيته فقط! .. لازم ننتبه إلى الأمة، لازم نعطي لهم: الدعوة، والعمارة، والعبادة، لازم نسعى للخير ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

السؤال الرابع:

الإصلاح، كيف يمكن بإيجاز؟

❖ **الجواب:** التربية.. فالحضارة الإسلامية ليست فكراً سامياً أو شعاراً فقط، ولكن على المسلمين أن يتحملوا هذه المهمة المقدسة، فالأمة الإسلامية متهمة بأن الحضارة الإسلامية قد سقطت وذهبت، والحقيقة أنها نامت، ولم تمت، ولا بد من إيقاظها على أيدي المخلصين من أبنائها.

السؤال الخامس:

إذا كانت الحضارة التي بنيت أو تبنت الإسلام فلماذا تخلف المسلمون في حضارتهم؟

❖ **الجواب:** لأنهم تركوا التربية، اختل الميزان في أيديهم في التربية فخرج الإنسان هكذا.

السؤال السادس:

هل تخلف الدول الإسلامية في الحياة المعاصرة كسل أم قصور أم قدر من الله؟

❖ **الجواب:** الله يقدر كل شيء، لكن ستحاسب أنت على تقصيرك فيه.

السؤال السابع:

ما السبيل للنهضة الإسلامية؟

❖ **الجواب:** التربية، لو عرفنا كيف نضع برامج التربية، وأن نحول كلامنا إلى واقع، بحيث يعيش الطفل حراً .. طليقاً.. مؤدباً.. مخلوقاً.. مُعَبِّراً.. محباً لله ولرسوله.. يكون ناجحاً، فهذا الطفل سيكون، وهو الذي سيعمر الدنيا بعد ذلك، لكن لو علمناه الأنانية.. وأنا ومن بعدي الطوفان، فسيشب كذلك، فنسأل الله السلامة.

وعملية التربية مستديمة، مع المحبرة إلى المقبرة، ليس معناه أن التربية أثناء وقت واحد لأن الدنيا متغيرة فتحتاج برامج منا ومجهود زيادة.

مسائل علمية:

السؤال الأول:

هل اختلاف الفقهاء رحمة كما يقولون؟؟

❖ **الجواب:** نعم، لأن الدين على قسمين: قطعي وظني؛ القطعي لا اختلاف فيه: مثل الصلوات وأنها خمسة، ومثل الصيام وأنه في رمضان وليس في شوال، ومثل القبلة وأنها هي الكعبة، وليست أي شيء آخر، فهذه أمور قطعية لم يختلف فيها أحد من الناس وهذا هو قدر الدين.

والباقي ظني: يحتمل اختلاف العلماء، وهناك ستة وثلاثون سبباً لاختلاف الفقهاء؛ بعضها يرجع إلى اللغة، وبعضها يرجع إلى التوثيق، وبعضها يرجع إلى الفهم، وبعضها يرجع إلى التعارض، وبعضها يرجع إلى القواعد الأصولية، وبعضها يرجع إلى القواعد الفقهية.

فاختلاف الفقهاء رحمة؛ لأنه يدل على مرونة الشريعة الإسلامية.. وعلى سعته.. وعلى عالميتها.. وعلى أنها صالحة لكل زمان ومكان.. وعلى أننا يمكننا أن نأخذ ما يناسبنا منها في أي وقت وفي أي حال، ولذلك فاختلاف الفقهاء رحمة، لكن يجب علينا أن نتدرب على كيفية التعامل مع هذا الاختلاف:

أولاً: حكم الحاكم يرفع الخلاف، ثانياً: إنما ينكر المتفق عليه، ولا ينكر المختلف فيه، ثالثاً: الخروج من الخلاف مستحب، رابعاً: من ابتلي بشيء من المختلف فيه فليقلد من أجاز.

قواعد وضعها الأئمة الكبار: الإمام السبكي، والإمام ابن الوكيل، والإمام السيوطي، وهي موجودة في كتبنا، لا بد أن نبرزها وأن نفهمها الناس، وأن نبين لهم أن هذه المساحة الظنية هي موطن رحمة وليست موطن عذاب، ولا اختلاف، ولا تناحر! إنما هي من أجل أن يكون هذا الدين خفيفاً، سهلاً، ميسراً، سمحاً كما أراد الله له أن يكون.. يتصف بصفة العالمية.. يخاطب الناس في كل زمان ومكان كما أراد الله أن يكون.

السؤال الثاني:

كيف يمكن وقف هذه الفوضى الإفتائية؟

❖ **الجواب:** بتقوى الله وبالتربية، شخص يريد أن يتزعم، فظهر في التلفزيون وهو مزهو بنفسه فماذا أفعل له؟! لا بد من التربية، يجب عليه أن يعرف أن ما يفعله هذا خطر، وأن هذا الذي يفعله سيحاسب عليه يوم القيامة، وأن الذي يتصدر دون أن يتعلم يقول العلماء عنه: (إنه تزيب دون أن يتحصرم)، أي عمل نفسه زيباً وهو لم يصبح حصرماً، تأتي لكي تأكله على أساس أنه زيب فتجده مُرّاً، إذن كان ينبغي أن يتربى، نحن فقدنا كثيراً من هذا.

أحكام الحدود:

سؤال:

هل هناك دليل في القرآن على حد الردة؟

الجواب: نعم: بصفة معينة، وبشروط معينة، كما ورد في سورة الأحزاب: ﴿لَنْ يَكُنَ لَكَ دُونَهُ الْمُتَوَكِّلُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِزُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١].

هذا الإرجاف هو الذي يُبيح القتل، هذا بنص القرآن، والزيادة على هذا محل نقاش، ولكن هذا القدر - وهو الإرجاف - هو الذي أحب أن أسمى العمليات الإرهابية به؛ لأن كلمة إرهاب كلمة عربية محترمة، فلم تكن هي أبداً مقابل كلمة: (التيوريزم Terrorism)، وعندما تترجم الـ (Terrorism) إلى العربية تكون: (الإرجاف) وليس الإرهاب، لأن مفهوم الإرهاب يطلق أحياناً على عمل مشروع، يشبه الضربات العسكرية الرادعة الخاطفة، التي تحدث في أي معركة في العالم، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك العمل الرادع فقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، بمعنى الردع، فلو أردت أن تستعمل الكلمة فسيكون معناها الردع، وهو مفهوم محترم معمول به في كل الأنظمة العسكرية في العالم، فينبغي أن نحافظ على نقاء مصطلحاتنا الشرعية.

أما ما يفعله هؤلاء المخربون السفهاء من عدوان أحرق فهو: (إرجاف)، لكن نحن نقول: كلمة إرهاب شاعت واستعملت في معنى قبيح وهو: (الإرجاف) فهذه الذي ينبغي أن يتضح من ناحية اللغة، ونحن جميعاً نتفق على نبذ هذه العمليات العنيفة التي يتسلط فيها بعضهم على الناس بالدم والذي نسميه إرجافاً.

أحكام القرآن والذكر والدعاء:

سؤال:

بعض أئمة المساجد يقرأون القرآن بإحدى القراءات السبع، ومنهم من يقرأ الضاد طاء، مدّعياً أنها قراءة فيحدث بلبلة.

الجواب: أما القراءات السبع والعشر فهي المتواترة، كلها أبعاد القرآن، وكلها واردة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أخذها عن جبريل، وهي تدل على السعة مثل الآيات الكريمت: ﴿تُحَذِّرُكُمْ﴾ و﴿تُحَذِّرُكُمْ﴾، و﴿يَكْذِبُونَ﴾، و﴿يَكْذِبُونَ﴾، و﴿فَتَبَيَّنُوا﴾... إلى آخره، في بعض المساجد يقرأ برواية ابن عامر، لا بأس إحياء لهذه السنة، في المغرب يقرأون بورش، وهنا عامة القراءة بحفص وهكذا، وفي إفريقيا بحمزة، إنما قضية الضاد والطاء هذه قضية أخرى، الطاء الفاحشة المشالة (الظالين)، هذا لا يجوز، إنما هي تخرج من أحد حافتي اللسان مع

الأسنان، وهي صعبة، لم نلقها عن مشايخنا، وهذا مكتوب في الكتب التي تلقيناها عن مشايخنا الضاد الخاصة بالمسلمين التي نقرأ بها ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] هكذا سهلة وحلوة، وقد سألنا مشايخنا، قلنا لهم: هل سمعتم من مشايخكم (إظ) هذه؟ قالوا: لا، ثم قالوا لنا: نحن سألنا مشايخنا إلى الشيخ المتولي الكبير، محرر القراءة، وقد توفي سنة ١٨٩٥م فلم يكن هناك شيء اسمه (إظ) هذه لكن هي موجودة في العربية، وموجود عليها إشكالات؛ كتب فيها ابن سيدي الدقنوسي، وكتب فيها المكي، وكتبت فيها كتب كثيرة: (إتحاف العباد، في طريقة النطق بالضاد)، (إتحاف النبلاء، في الفرق بين الضاد والظاء)، (الحروف الخمسة المشتبهة) كتب كثيرة ومطبوعة، ولكن الذي تلقيناه عن مشايخنا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ البعض يقول لك: هذه الضاد أصلها دال مفخمة، نقول له: لا، الدال المفخمة مغايرة لهذه، ولا يجوز أن تكون هذه دالاً مفخمة وهكذا، لكن على كل حال حتى أولئك الذين يفعلون هذا، اسألوهم: هل تلقيتموها عن مشايخكم؟ هل سمعتموها؟ فإن هذا القرآن مسموع؟ وأنا سألت شيخنا الشيخ عامر السيد عثمان / قلت له: (هل سمعت عن شيخك الشيخ خليل الجنائني (إظ) هذه؟ قال: (لا، هذا مكتوب في الكتب).

إذن.. انتبه! أن المكتوب في الكتب إنما هو من أمانة العلماء فقد حكوا لنا كل ما قيل، لكن الذي تلقيناه عن مشايخنا هو المنقول المتواتر المحفوظ بحفظ الله تعالى، أما ما سواه مما هو موجود في الكتب فهي

قضايا علمية ينظر فيها ويتتبع بها، لكن لا نخلط بينها وبين القرآن المسموع الذي جاءنا سماعاً من المصطفى ﷺ إلى مشايخنا.

أحكام الحجاب:

سؤال:

الحجاب والنقاب، نُحب أن نعرف فيهما إجابة شافية وافية؟

❖ **الجواب:** الذي فرضه الله على الرُّجل وعلى المرأة ستر العورة، وعورة الرُّجل من الشُّرة إلى الركبة، وعورة المرأة كل جسدها إلا وجهها وكفيها، والشرط في ذلك للرجل وللمرأة ألا يصف، وألا يكشف، وألا يشف، بغض النظر عن شكله، أو لونه، أو وضعه، أو سعره، أمور ليس لنا فيها تدخل، لكن هي شروط ثلاثة: لا يصف، لا يكشف، لا يشف، كان العلماء يصوغونها هذه الصياغة ويضعون لها وزناً ليسهل حفظها، فهذه هي شروط الحجاب، أي: شروط ستر العورة، فالحجاب عندنا ليس حجاباً على العقل، ولا على النور، ولا على العلم.. أبداً، بل هو طاعة لله فرضه على المرأة حتى في بيتها، في الليلة الظلماء وهي وحدها، ملزمة بأن تلبس هكذا، إذا أرادت أن تصلي، حتى تصح صلاتها، إذن هو ليس رمزاً، إنما هو فرض من فروض الدين، وهذه صفاته التي ذكرت.

تصحيح المفاهيم:

السؤال الأول:

حضرتك تقول: ليس في عالمنا شيء مقدس، فماذا عن القرآن الكريم؟

❖ **الجواب:** القرآن مُقَدَّس، والنبى ﷺ مُقَدَّس، والكعبة مُقَدَّسة، والنعل الخاص بالنبى ﷺ نضعه على رؤوسنا، شعر النبى ﷺ مُقَدَّس، وعندنا أشياء اسمها: (الآثار)، نعم، سنتمسح بها تبركاً؛ لأننا نؤمن بقداسة النبى ﷺ، إنما القُدَّاسة التي تُوجِبُ العبادة هي المنفية، يقول النبى ﷺ مخاطباً الكعبة: «مَا أَطْيَبَ رِيحِكَ، مَا أَعْظَمَ حُرْمَتِكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيْهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ»^(١)، نعم لها قُدَّاسة.

ويقول سيدنا عُمر رضي الله عنه مخاطباً الحجر الأسود: «إِنِّي لَا عَلَمَ أَنْكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقْبِلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»^(٢)، وهو يقول ﷺ: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»^(٣)،

- (١) ورد الحديث من مسند ابن عباس، وعبد الله بن عمر، أما حديث ابن عباس فرواه الطبراني في المعجم الكبير: (٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤٤٤/٣)، وأما حديث ابن عمر فرواه الترمذي في سننه: (٣٧٨/٤)، والطبراني في مسند الشاميين: (٣٩٦/٢).
- (٢) رواه البخاري في صحيحه ٥٧٩/٢/ كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ورواه مسلم في صحيحه ٩٢٥/٢/ كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، ورواه مع زيادة الأزرق في تاريخ مكة ٣٢٣/١.
- (٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد: (٣٢٨/٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ورواه

يعني هناك ميثاق تأخذه، والله تعالى لا تدركه الأبصار، وهو سبحانه مفارق عن خلقه، ولا يكلم أحداً إلا وحياً أو من وراء حجاب، لكن أن تقول: كيف كلم الأنبياء؟

فهناك شيء اسمه: (فيد الحيثية مراعى) يعني أن تتحدث عن شيء فتقول: (هو موصوف بكذا من حيث كذا)، يعني القداسة منفية من حيث إنها تؤدي إلى العبادة، لكنها ليست منفية من حيث إن فيها تعظيماً لما أمرنا الله أن نعظمه.

السؤال الثاني:

إذا خرج ريح من الإمام.. فهل تبطل صلاة المأموم؟
❖ **الجواب:** لا، ينصرف الإمام، ويذهب ليتوضأ، ويكمل المأموم الصلاة.

السؤال الثالث:

ماذا نفعل إذا كان الإصلاح يتعارض مع الشريعة؟

❖ **الجواب:** لا يكون إصلاحاً، بل يكون إفساداً.

ابن الجوزي في العلل المتناهية: (٥٧٦/٢) عن عبد الله بن عمرو وجابر أيضاً، وأعله من طريقه، ورواه الأزرق في تاريخ مكة: (٣٢٥/١) موقوفاً على ابن عباس، وانظر بحثاً حول الحديث في كشف الخفا: (٤١٧/١) للعجلوني.

السيرة النبوية:

سؤال:

لماذا أُرِّخَ بالهجرة ولم يُؤرَّخ بالبعثة النبوية؟

• **الجواب:** ولو أُرِّخناها بالبعثة النبوية لسألت: لماذا لم تؤرخ بالهجرة؟
ولسأل الآخر: لماذا لم تؤرخ بميلاد النبي ﷺ؟ أو بوفاته النبي ﷺ؟ هذا اختيار.. فالصحابة رضوا اجتماعاً وتشاوروا واختاروا، هذا مباح.

أحكام المواريث:

سؤال:

هل يجوز للجدّة أن تتنازل لأولاد ابنها المتوفى عن نصيبها الشرعي في ميراثها منه؟

• **الجواب:** يجوز، وهذا فضلٌ منها، وكل الجدات تفعل هذا.

من أحكام الصلاة:

سؤال:

شخص يصلي غير الفريضة، ثم أراد أن يسجد أثناء القيام، فقطع قراءته بآية سجدة وسجد ثم قام واستأنف فما الحكم؟؟

• **الجواب:** لا بأس إذا جاءت آية سجدة وأنت تصلي أن تسجد، الإمام مالك يقول: مكروه، ولذلك لا تفعل هذا كثيراً.

حكم التصفيق:

سؤال:

ما حكم تصفيق الرجال في الحفلات في نظر الإسلام؟

• **الجواب:** جائز.. لأن هذه علامة، وقضية أن الرجل في الصلاة يهتم أو ينيب بالتسبيح والمرأة بالتصفيق فهذه علامة داخل الصلاة، لكن التصفيق في حد ذاته ليس حراماً، حرام أن تتخذ عباداً، لكن المرأة عندما تصفق لتنبه الإمام لأنها بعيدة وصوتها لا يصل، وإذا أحبت أن تنبهه تصدر صوتاً عالياً مما يحدث ضجة في المسجد، بينما نحن في المسجد نريد السكينة والهدوء والرحمة ونريد البركة ونريد الأدب، والرجل القريب يقول: سبحان الله، أما من يصفق هكذا جائز.

أحكام الطهارة:

السؤال الأول:

ما حكم الصلاة في ثوب به مني؟

• **الجواب:** المنى طاهر لأنه منه الإنسان، وكانت عائشة رضي الله عنها تفركه من ثوب رسول الله ﷺ فيصلي فيه ^(١).

* * *

السؤال الثاني:

شخص أصابته جنابة، ويريد أن يصلي الفجر، وتعدّر عليه الغُسل بالماء البارد، ولا يوجد ماء ساخن، ويريد الصلاة قبل فوات الوقت، فهل يجوز له التيمم؟

• **الجواب:** يجوز له التيمم، ويجوز له أن يؤخر الصلاة إلى أن يتمكن من التسخين ما لم يخف من خروج الوقت إن كان ذلك ممكناً، وهذا عند الإمام الشافعي.

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه: (٢٣٨/١)، وابن حبان في صحيحه: (٢١٧/٤)، وابن خزيمة في صحيحه: (١٤٧/١) وغيرهم.

من أحكام الجنائز:

سؤال:

ما حكم الإشارة إلى الميت أثناء دخول القبر وقول الناس: (أودعت معك شهادة: أن لا إله إلا الله) فهل هي أمانة يتحملها الميت؟

• **الجواب:** أبداً.. كونوا مع أخيكم حين السؤال، وقد سألت الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عندما وجدوه يخاطب قتلى المشركين: أيسمعونك يا رسول الله قال: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» ^(١) هذا على الكفار فما بالك بالمؤمنين، ولذلك: نعم، هم يسمعوننا، ونعم من السنة أن تبقى لتثبت أخيك حين السؤال.



(١) رواه البخاري في صحيحه: (١٤٦١/٤)، ومسلم في صحيحه: (٢٢٠٢/٤)، وابن حبان في صحيحه: (٩٩/١١)، والنسائي في السنن: (١٠٨/٤).